الغـــــزل :

يعد الغزل من ابرز الموضوعات الشعرية ، إذ شغل مكاناً واسعاً من الإرث الشعري الذي خلفّه لنا العصر الجاهلي ، حتى ليكاد إن يكون الجزء الأكبر من ثروتنا الأدبية في هذا العصر.
ومطالعتنا دواوين الشعراء الجاهليين تضعنا أمام هذه الحقيقة الواضحة ، إن كثرة كثيرة من الشعر الجاهلي الذي وصل الينا تكاد تكون قاصرة على الغزل أو متصلة به بسبب ، وان الإغراض الأخرى جميعاً من الفخر والمدح والهجاء والرثاء لا تعدو أن تكون قسيماً لشعر الغزل ...

والغزل لغة العاطفة ، صوّر فيه الشعراء أشواقهم وإحساساتهم نحو المرأة وما يلقون منها من وصال أو هجر، من وعدٍ وإخلاف ودل وغنج ، صوّروا فيه سعادتهم وشقاءهم ، آمالهم وآلامهم ، واستطاعَ الشعراءَ أن يرضوا نزعاتهم الفنية بتحبير القصائد الرائعة التي تصور حبهم وتسجل وقائع هواهم . ولذالك كان الغزل الموضوع الكبير الذي اعتنوا بهِ وصرفوا اليه أكثر شعرهم ، فشاع بينهم ودارت عليهِ قصائدهم .

وكان من شغفهم بالغزل أن جعلوه أول موضوع يبتدئون به القصائد الطوال ، سواء كانوا يذكرون الغزل مباشرةً ، أم يذكرون الديار ديار الحبيبة - لتنقلهم إلى ذكرها والتغزل بها وسرد ذكرياتهم وإياها ، ليُميلوا إليهم - القلوب والأسماع لأن الغزل أقرب الموضوعات إلى النفوس وأعلقها بالأفئدة .

والمرأة هي موضوع الغزل ، وقد تناول الشاعر جمالها ، وأول مالفت نظره جمال وجهها وجمال أعضائها ، ووصف الجمال الجسدي هو الأمر العام الطاغي على الغزل ، أما وصف المحاسن الخلقية والنفسية وتصوير عواطف المرأة وحكاية الحب بين الرجل والمرأة ، فيأتـي كُل ذلك في المرتبة المتأخرة من وصف الأعضاء ، إن الشاعر يقف أولاً عند ألصورة الخارجية للمرأة ، الصورة ألتي تحرك فيهِ عواطف الجنس وعواطف الحب والجمال .

أنـــواعـــه :

أولا - الغزل الحسي الصريح : وهو الغزل الذي يصف فيه الشاعر مفاتن المرأة ومحاسنها الجسمية وصفاً حسياً صريحاً . ويمكن أن نلمس هذا النوع من الغزل واضحاً في معلقة امرئ القيس ، إذ يقول :

مهفهفة بيضاء غيرُ مفاضـــةٍ ترائبها مصقولة كالسجنجـــلِ
كبكر مقاناةِ البياض بصـــفرة غذاها نميرُ الماء غيرَ المحلّـل
تصدُّ وتبدي عن أسيلٍ وتتقـي بناظرةٍ من وحش وجرة مُطفل
وجيد كجيد ألرئم ليس بفاحـش إذا هي نصّتهُ ولا بمعطّـــل
وفرع يُغشّي المتن أسودَ فاحمٍ أثيثٍ كقنو ِالنخلة المتعثكـــل

لقد وصف امرؤ القيس كل ما شاهد من حبيبته أو لمس . فهي لطيفة الكشح مملوءة الساقين خاصرة البطن بيضاء صافية اللون ، صدرها صقيلٌ متلألئ كالمرآة الصافية ، أسيلة الخدين واسعة العينين ، طويلة العنق ، قد زيّنته بالحلي ، شعرها طويل مسترسل على ظهرها أسود فاحم مجعد ...

خصائصـــــه :

١- إنـه غزل حسي مادي يتصل بمحاسن المرأة الظاهرة ، ويلّم بأعضائها من وجه وشعر وقوام وعنق ونحو ذلك .

٢- الجرأة : يتسم هذا النوع من الغزل بالجرأة في وصف مفاتن المرأة ومحاسنها الجسمية ، إذ تجاوز فيه الشعراء الصورة الخارجية التي يتلاقى فيها إنسان بإنسان من صورة الوجه المشرق ، والقد المعتدل ، والأصابع الرقيقة المستوية ألتي تتناول فيها ألأشياء ، إلى وصف الأعضاء المستورة من المرأة كالنحر والثدي والروادف والساقين والبطن والكشح وغيرها .

٣- الصراحة الوضوح : كما اتسم هذا النوع من الغزل بأنه صريح في أوصافه الجريئة هذه وحديثه عن المرأة ، وفي عرضه لمفاتنها الجسمية ، إذ لا يجد الشعراء في ذلك حرجاً ولعل لطبيعة حياتهم البسيطة الصريحة الواضحة التي لا تعرف المواربة والتغطية والحياء الكاذب المصنوع ، لعلَ لكل ذلك أثرا في هذا ألإقبال على الغزل الحسي الصريح ، فالشاعر- والسامع - يجد في عرض هذه المفاتن لذة ومتنفساً لعواطفهِ وغرائزه .

٤- القصـــد : إنهُ"غزل مباشر مقصود" : فالشعراء الجاهليون لم يتحدثوا عن مفاتن أحبتهم حديثاً عارضاً ، ولم ينساقوا اليه انسياقاً في مناسبة طارئة أو انحرافه عابرة .. وإنما كانوا يتحدثون عنه قاصدين ، ويتجهون اليه عامدين ويفردون له من قصائدهم حيّزاً خاصاً ، حتى أضحى هذا القسم جزءاً من بناء القصيدة ليس لهم أن يتجاوزوه أو يهملوه .

٥- رقة الألفاظ وعذوبتها وسهولتها بالقياس إلى ألأغراض ألأخرى ، ويعود السبب في ذلك إلى :

أولاً : رقة موضوع الغزل نفسه . فالغزل هو لغة عاطفة الحب ، تلك العاطفة الإنسانية ألرقيقة ، إذ يحاول الشاعر أن يعبّر عن هذه العاطفة ألرقيقة بما يوافقها من ألفاظ رقيقة ، عذبة ، رشيقة ، ينتقيها لهذا الغرض .

ثانياً : أن لغة الغزل بين شعراء الجاهلية كانت قد اكتسبت لوناً من الصقل والتهذيب جعلها لغة عامة ومشتركة بين جميع الشعراء وبين جميع ألبيئات والقبائل الجاهلية .

ثانيا : الغزل العفيف

وهو الغزل الذي يصف فيه الشاعر ما يلقاه من شوق وهيام وما يكابده من وجد وما يعانيه من ألم الفراق ولوعة البعاد ، والذي تشيع فيه حرارة العاطفة ، وتشع منه ألأشواق ، ويصور خلجات النفس وفرحات اللقاء وآلام الفراق ، ولا يحفل بجمال المحبوبة الجسدي بقدر ما يحفل بجاذبيتها وسحر نظرتها وقوة أسرها ، ثم يقتصر فيه الشاعر على محبوبة واحدة طيلة حياته أو ردحاً طويلاً من حياته .

ويمكن أن نلمس هذا النوع من الغزل واضحا جليا في شعر عنترة ، إذ يقول :

وبتّ ُ بطـــيف منك يا عبلُ قانعـــــاً ... ولو بات يسري في الظلام على خدّي
فبالله يا ريـــــح الحجاز تنفسّـــــــي ... على كبدٍ حرّى تذوب من الوجـــــــدِ
ويا برق أن عرضت من جانب الحمى ... فحيّ بني عبس على العلم السعـــدي
وانْ خمدت نيـــــران عبلةَ موهنـــــاً ... فكن أنت في أكنافهـــا نيّر الوقـــــد
وخلّ الندى ينهـــلّ فوق خيامـــــها ... يذكّرها أني مقيم علـــــى العهـــــدِ
عدمتُ اللقـــا إن كنت بعد فراقهـــــا ... رقدتُ وما مثّلت صورتها عنـــــدي
وما شاق قلبي في الدجا غير طائـــرٍ ... ينوح على غصن رطيب من الرنـــــد
به مثل ما بي فهو يُخفي من الجـــوى ... كمثل الذي أخفي ويُبدي ألذي أبـــدي

خصـائصـه :

١- **العفة :** أنه غزل عفيف لا أثر فيه لوصف الجسم ومطالب الجسد ، أو فيه أثر ضئيل ، وإنما هو نجوى وشكوى وتنفيس عمّـا يعتلج بالقلب من أشواق وما يختلج بالصدر من حنين ولهفة ، فهو يشبه الغزل العذري في الإسلام ، لأنهما معاً يسلكان طريقاً واحدة.

٢- **هذا الغزل تحليل لنفسية الشاعر** ، يصور دخيلته ، ويفصح عن آلامـه ، وآماله لأنه منبعث من أعماق نفسه ، فهو تحليل لعواطفه في القرب والبعد والصد والوصل ، والأمل واليأس .

٣- **وهذا الغزل مقصود لذاته** ، فهو غاية يقصد إليها الشاعر ، وهدف يرمي إليه ، ولم يمهد به لغرض آخر ، فهو أذن تعبير عن عاطفة الحب ، وغناء مقصود لذاته ، وهو بهذا يشبه غزل جميل وقيس في العصر ألإسلامي .

٤- **ألاقتصار على محبوبة واحدة** ، إذ قضى كل محب من هؤلاء الغزليين حياته كلها وقلبه يخفق بحبيبة واحدة لم يبدلها ، وتحمّل في حبه أهوالاً أضنته أو أذهلته أو قتلته . والموت من الحب والضنى منه سمة العذرية في الجاهلية والإسلام .